



ATLANTIC COUNCIL

# EgyptSource

RAFIK HARIRI CENTER FOR THE MIDDLE EAST

أحمد ناجي

Ahmed Naje  
October 17, 2012

## وزارة الثقافة المصرية: من زمن الحظيرة إلى غرفة الكراكيب

"نعم أدخلت المثقفين الحظيرة" هذه العبارة الأيقونية لصاحبها وزير الثقافة السابق فاروق حسنى تصلح كتلخيص لدور وزارة الثقافة المصرية طوال فترة حكم حسنى مبارك، حيث ترأس فاروق حسنى وزارة الثقافة طوال هذه الفترة لمدة تزيد عن عشرين عاماً.

في الحقيقة مفهوم السلطة في مصر عن كون وزارة الثقافة حظيرة هو عقيدة ممتدة منذ تأسيس الوزارة للمرة الأولى في عهد جمال عبد الناصر حيث حملت اسم وزارة الثقافة والإرشاد القومي. ففي عصر الستينات -وعلى رأى الرئيس مرسى الستينات وما أدراك ما الستينات- كانت توجهات الدولة تصب في كيفية تعبئة وتأميم المجتمع كله لا فقط من الناحية الاقتصادية والسياسية بل أيضاً كل ما يمس الفن والإعلام والثقافة وحتى الترفية والتسلية أصبحت من مهام الدولة. لهذا ولدت وزارة الثقافة ككيان ضخم تتبعه عشرات الإدارات المختلفة تبدأ من السيرك القومي واحتكار تقديم الفنون والأغاني الشعبية والرقصات الفلكلورية وحتى الإنتاج السينمائي والموسيقي. كل هذا كان مسخراً لحشد الجماهير خلف المشروع الناصري.

ومع عصر السادات تراجع هذا الدور نظراً لتغيير البوصلة السياسية للسلطة في ذلك الوقت، فتخففت الوزارة من الكثير من أعبائها وإدراتها. في محاولة لفتح وتوسيع المجال أمام قوى الإسلام السياسي الصاعدة في السبعينات لاستخدامها لمواجهة التيارات اليسارية والناصرية.

كان من المقرر أن تنتهى وزارة الثقافة ودورها في عصر السادات، لكن إغتيال رأس السلطة ومجيء حسنى مبارك وضع النظام في مواجهة عاجلة مع التيارات الإسلامية. ولم يكن من الممكن في سنوات الثمانينات والتسعينات الانتصار في تلك المواجهة بالعنف والسلاح فقط دون وجود آلة إعلامية وثقافية تتمكن من تعبئة المجتمع ضد ما عرف وقتها بالأفكار الظلامية والرجعية والإرهابية. ومن هنا انتهت حكاية وبدأت حكاية جديدة.

\*\*\*

العداء بين التيارات الإسلامية على اختلافها والثقافة بشكل عام ووزارة الثقافة المصرية بشكل خاص موغل في القدم. لكن أهم فصول المعركة تبرز في الثمانينات والتسعينات، حيث تمت مضاعفة ميزانية وزارة الثقافة لتتوسع في أنشطتها ويتم احيائها من جديد لمواجهة غول "الإرهاب" بمصباح "التنوير".

وقتها تنبتهت الوزارة للمثقفين اليسارين والمعتدلين الذين لفظتهم في السبعينات وبدأت محاولات استقطابهم للعمل كموظفين أو مستشارين في الوزارة لخوض الحرب ضد الإرهاب والأفكار الأصولية المتطرفة.

ومع انحصار موجات الإرهاب في مصر في نهاية عقد التسعينات، تحول المثقفون إلى عبء على وزارة الثقافة. فمعركة الكثير منهم لم تكن ضد الاستبداد الدينى فقط بل وضد الاستبداد السياسى.

وفشلت محاولات فاروق حسنى في استقطاب الكثير من الرموز الثقافية والفنية المصرية المعارضة في بداية الألفية، وربما يتجسد هذا الرفض بقوة في مشهد رفض صنع الله إبراهيم لجائزة الرواية العربية ومهاجمته الوزير والنظام الحاكم الذي يمثله من على منصة دار الأوبرا.

لم تفشل الوزارة في إدخال قطاع من المثقفين إلى حظيرتها فقط، بل تحول جزء من هذا القطاع إلى تكوين النواة الأولى للتغيير في مصر في حركة كفاية. الوزارة نفسها أصبحت عاجزة عن منافسة مؤسسات المجتمع المدني الصغيرة كالمورد الثقافي أو الساقية أو جالير التاون هاوس التي أصبحت منافساً قوياً لها على مستوى النشاط الثقافي والفنى في القاهرة والإسكندرية.

إلى جانب ما سبق فقد تضخم الجهاز الإدارى للوزارة مثل بقية أجهزة الحكومة، وأصبحت تعاني من زيادة العمالة الزائدة التي تلتهم الجزء الأكبر من ميزانيتها ثم كانت ٢٥ يناير.

\*\*\*

على مدار الفترة التي تلت تنحي مبارك، انطلقت عشرات المبادرات لبحث سبل إعادة هيكلة وتطوير وزارة الثقافة وتحريرها من سيطرة السلطة، وقد كان هناك شبه اتفاق بين كبار الموظفين في الوزارة والمثقفين والعاملين في حقل الانتاج الثقافي على ضرورة الحفاظ على البنية التحتية لوزارة الثقافة التي تمتلك شبكة من المكاتب والمراكز الثقافية في مختلف أنحاء الجمهورية حتى حلايب وشلاتين في الجنوب.

دارت معظم خطط إعادة الهيكلة حول تحرير العمل الثقافي وتحويل مسؤليته إلى المجتمع المدني على أن تحافظ الدولة على دعمها له. بمعنى أن تتولى منظمات المجتمع المدني لا الوزارة المختلفة مسؤولية تنظيم المهرجانات والفعاليات الثقافية المختلفة. وأن تخرج هذه الفعاليات إلى الشارع وتصبح أكثر تماساً وتفاعلاً مع المجتمع لا مجرد سياسات يتم فرضها من أعلى.

لكن لم تتوافر لدى المجلس العسكري في العامين الماضيين الإرادة السياسية لإقرار أى من هذه الخطط، ومع مجيء الرئيس مرسي وحل مجلس الشعب تم وضع كل هذه الخطط في الثلاجة.

\*\*\*

لم يغير الرئيس مرسي وزير الثقافة مع مجيئه للحكم. ولم يقدم الاخوان أى رؤية لمستقبل العمل الثقافي في مصر اللهم الا صراخهم من أجل الاعتراف بشرعية ما يدعى "الأدب الإسلامى". يدرك الاخوان أن فتح ملف وزارة الثقافة كفيل بفتح معركة إضافية عليهم لا حاجة لهم بها الآن.

وفي المقابل يحافظ وزير الثقافة الحالى محمد صابر العرب على سياسات وزارة الثقافة كما كانت في عهد مبارك رافضاً أى خطط لاعادة الهيكلة والتطوير. فالنسبة للاخوان لا فائدة يمكن توقعها من وزارة الثقافة، فلدى الاخوان شبكاتهم الاجتماعية والاعلامية الخاصة التي يفضلون ممارسة عملهم وتأثيرهم من خلالها. ويبدو جلياً خلال المائة يوم الأولى أن الرئيس مرسي ليس لديه اهتمام لتحويل الوزارة لحظيرة أو استخدامها كبوق داعية مفضلاً الحفاظ عليها كغرفة للكراتيب والأشياء القديمة. أو تذكار من زمن الدولة العميقة.